الفصل الأول

القيم الجمالية للتطريز

• مقدمة عامة عن التطريز. • مفهوم التطريز.
• القيم الجمالية للتطريز. • العوامل المؤثرة على تحقق القيم الجمالية للتطريز. • كيف يمكن تحقيق القيم الجمالية للتطريز؟

مقدمة عامة عن التطريز

هناك وسائل كثيرة لأشغال الإبرة يمكن أن تُستخدم في زخرفة الملابس والمفروشات، وكلها وسائل يتم تنفيذها يدوياً باستخدام أو بدون استخدام الإبر المختلفة الأشكال، وتسهم في زخرفة المنسوجات ومنها على سبيل المثال: الكروشية "Crochet" (الصورة رقم ١)، والتريكو "Knitting" (الصورة رقم ٢)، والمكرمية [1] "Macramé" (الصورة رقم ٣)، والمخرمات المُشبكة[2] (المُشبكات ذات العيون المربعة والرسوم الهندسية) "Filet Lace" (الصورة رقم ٤)، والزركشة بالشراريب والكرات "Needlework Trimmings" (الصورة

---

[1] "Macramé": مصطلح عربي يشمل المتسلسلات، والجدائل المضفرة، والشبكات، والخليات، وانتشر استخدام الكلمة ليشمل أنواعاً معينة من الشغل تدل على الزخرفة بالجدائل المضفرة، والصنع بعقد أو تضفير الخيوط.

[2] المُشبكات: نوع من التطريز أساسها مأخوذ من حرفة يدوية قديمة (صناعة الشباك) "Filet Lace"، ويعتبر نوعاً من تطريز المخرمات "Embroidery Laces".

رقم ٥)، إلا أن التطريز، سواء كان التطريز اليدوي أو الآلي، يعتبر من أهم الوسائل التي استخدمت في تلك الزخرفة (الصورة رقم ٦).

الصورة رقم (١). الكروشية.

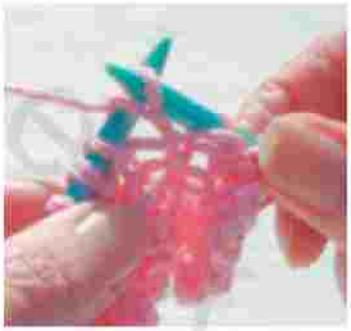

الصورة رقم (٢). الريكو.

المصدر: (sonnet.groups.com).

الصورة رقم (٣). المكرمية.

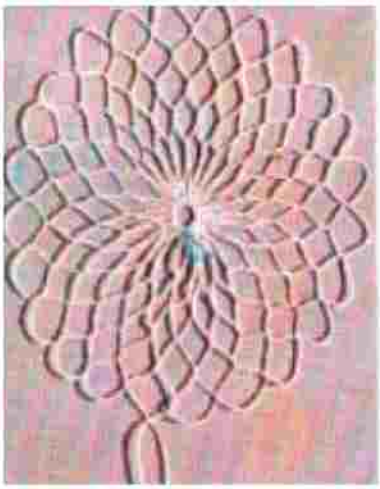

الصورة رقم (٤). المشبكات.

المصدر: (Brudi, 1984: p. 166).

الصورة رقم (٥). الزكشة بالدراريب.

الصورة رقم (٦). تأثيرات بالتطريز.
المصدر: (www.dictionaryofstitches.com).

ويثير تاريخ فن التطريز اهتماماً كبيراً على مر العصور، ويتضمن التاريخ البشري على مستوى العالم ثروات لا حدود لها من القطع النسجية المطرزة، وإذا حاولنا معرفة بداية فن التطريز نجد أنه يعود إلى عصور غابة في القدم، ذلك لأن التطريز فن أقدم من فن النسيج، فالإنسان استطاع أن يستخدم الغرز المختلفة قبل معرفته للنسيج نفسه، حيث استخدم هذه الغرز في ربط جلود الحيوانات، وأول ثقوب نفذت بإبرة لربط قطعتين معاً كانت باستخدام غرزة اللفق أو السلسلة، وهي نفس الغرز التي استخدمت فيما بعد في التطريز.

ويعتبر التطريز واحداً من أقدم الفنون وأكثرها جمالاً سواء كان العمل بلون واحد مع اختيار غرزة واحدة أو اثنتين بسيطتين، في خط واحد، أو تصميم، أو كان العمل بغرزة معقدة وخامات مضافة، فكل أنواع العمل تستخدم بهدف إضافة قيمة جمالية وإثراء القطع المطرزة، وقديماً كان المبدأ الأساسي في التطريز هو استخدام غرز

الخياطة في الزخرفة، ولكن مع مرور الوقت أصبح هناك تأكيد أكثر على استقلال التطريز كفن مستقل عن فن الخياطة، ووُضع التطريز ضمن الفنون الزخرفية ذات الاختلاف النوعي سواء من حيث نوع الخامات المستخدمة أو الأدوات، وأصبح له مهارات وتقنيات خاصة.

ولقي التطريز اهتماماً خاصاً في الدول المتقدمة، وأُقيمت له متاحف، وقامت عليه دراسات، وذلك لما أدركته هذه الدول من مدى قيمة هذا الفن وأهميته، والتي بلغت حد أن أصبحت بعض المناطق في هذه الدول تشتهر بنوع معين من أنواع التطريز الذي تقوم به، مثل مقاطعة بروتون بفرنسا إذ اشتهرت بتطريز البريتون، وهو نوع من التطريز على التل، وبلدة ميلانو بإيطاليا اشتهرت بتطريز دانتيلا ميلان، وهناك أمم بأكملها يقوم جانب كبير من دخلها القومي على أساس هذه المهارة كالشعب السويسري.

من هنا يمكن أن ندرك مدى أهمية التطريز الذي يعتبر واحداً من أهم وأشهر الخبرات الإنسانية، فهو ليس مجرد شغل بعض الغرز، أو وسيلة لزخرفة المنسوجات، ولكنه ينطوي على معنى ومغزى ثقافي، ويشير إلى معتقدات ووظائف اجتماعية.

وتأخذنا دراسة هذا الفن إلى فروع كثيرة من الجمال، وتلهمنا بتأثيرات فاتنة، فعلى الرغم من أننا لا نستخدم إلا أدوات بسيطة إلا أنه يعطي أمثلة فريدة وعميقة من الإبداع.

مفهوم التطريز

بالبحث عن التعريف اللغوي لكلمة تطريز نجد أن أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ذكر أن "طراز هو علم الثوب، وهو معرب وجمعه طرز، وطرزت الثوب تطريزاً، أي: جعلت له طرازاً، وثوب مطرز بالذهب وغيره، ويقال: هذا طِرز".

وهناك العديد من الباحثين حاولوا جاهدين وضع التعريف الإجرائي للتطريز من وجهة نظرهم، ومن خلال دراساتهم العلمية المختلفة في هذا المجال نذكر منهم تعريف أحكام أحمد سليمان حيث ذكرت أن التطريز هو "زخرفة المنسوجات بعد أن يتم نسجها على الأنوال، وقد تتم عملية التطريز بواسطة إبرة خياطة أو أية آلة أخرى".

وتتفق ثريا سيد نصر مع التعريف السابق للتطريز فقد ذكرت أن "التطريز زخرفة القماش بعد أن يتم نسجه بواسطة إبرة التطريز بخيوط ملونة غالباً، ومن مادة أغلى من مادة النسيج".

أما باربرا سنوك Barbara Snook فتذكر أن "التطريز هو زخرفة الملابس بأشغال الإبرة المختلفة، ويعد واحداً من أقدم المهن وأكثرها جمالاً".

بينما عرفت رباب محمد السيد أن التطريز هو "ترجمة الأفكار وتجسيدها في صورة تصميمات زخرفية على القماش بعد أن يتم نسجه بواسطة التآزر العصبي الحركي للإصبع واليد والذراع في عمل الغرز المختلفة للتطريز من خلال الأدوات والخامات اللازمة مع توافر دقة الأداء ومحاولة الاقتصاد في الوقت والجهد".

أما ريهام يوسف فتذكر أن "التطريز عُرف بأنه اسم أعجمي مشتق من الكلمة الفارسية (طرازيدان) وهو مرادف للكلمة الإنجليزية (Embroidery)، والفعل يطرز، أي: يحدث زخرفة، أو حلية تطبق على هيئة مختارة من نسيج معين، أو من جلد، وذلك بواسطة الإبرة، أو ماكينة التطريز كأداة معينة بأسلوب يتناسب مع نوعية الخيوط وطبيعة التصميم معاً".

وذكر رضاء صالح وعبدالمنعم صبري أن "التطريز يُطلق عليه بالإنجليزية "Embroidery"، وهذا المصطلح مُشتق من كلمة أنجلوساكسونية تعني كناراً أو طرفاً، وكانت تُشير إلى كنارات الملابس الكهنوتية، أما الآن فهي تُطلق على النقوش المطرزة على القماش.

وتعرف صوفيا فرانسيس وآخرون Sophia Frances *et al.* التطريز بأنه "إثراء الأساس المسطح بالشغل عليه بواسطة الإبرة بخيوط حريرية ملونة، أو خيوط الذهب والفضة، أو خامات أخرى متفرقة في تصميمات نباتية، أو هندسية، أو تصميمات يدوية".

كما عرفه عاصم محمد بأنه "توشية الثياب بخيوط تُؤلف شكلاً أو منظراً زخرفياً معيناً".

وعرفت كرامة ثابت التطريز بأنه "أحد أنواع فن التوليف بالخامات، حيث يستخدم الفنان أحد تلك الخامات كأرضية (القماش)، ويبدأ في التوشية[٣] عليها بالخامات الأخرى (الخيوط – الأسلاك – المعادن – الأحجار – الصدف – الخرز – الشرائط)، مستخدماً العديد من التقنيات (غرز التوشية المختلفة).

وأخيراً عرفته سوزان علي بأنه "فن من فنون أشغال الإبرة يُستعمل بهدف زخرفة الأقمشة أو الجلود، أو أي خامات أخرى؛ لإثراء القيمة الجمالية والفنية لها باستخدام خيوط التطريز، أو أي خامات أخرى".

القيم الجمالية للتطريز

إن القيمة الجمالية تعتبر من القيم الكبرى في العملية التصميمية واحتياجات المستهلك بوجه عام، حتى يمكن القول بأن وجود تلك القيمة في أي منتج من المنتجات هو الذي يجعله عملاً فنياً، وينطبق هذا الوضع على التطريز، فالتطريز ما هو إلا وسيلة لإضافة القيمة الجمالية للمنتجات المختلفة.

---

[٣] التوشية: "وشي" فلان الثوب يشيه، وشياً توشية، أي لمّه ونقشه وحسنه، (*المعجم الوجيز*، ١٩٩٢م: ص ٦٧)، وترى كرامة ثابت أن (التوشية) هي فن شاع باسم (التطريز)، ولكن الاسم الأول يعطي له معنى عربياً أصيلاً وكياناً أشمل وأوضح (ثابت، ٢٠٠١م: ص ٥٩).

فالجمال يعتبر القيمة العليا التي يسعى المصمم إلى الوصول إليها ومحاولة تحقيقها، ويستخدم في سعيه أداتين أساسيتين في تصميمه، هما الطبيعة المتمثلة في الإنسان، والفن متمثل في كل إمكاناته، وقدراته الإبداعية الابتكارية من أجل تصميم يستجلب من خيال المصمم حقائق لم يشهدها غيره من قبل عرضها على جمهور النقاد.

والمظهر الجمالي يلعب دوراً كبيراً في تصميم المنتجات، حيث أن المستهلك يتأثر بخصائص المنتج الجمالية (اللون والشكل والحجم والمظهر الخارجي بوجه عام)، ويحاول المصمم من خلال استخدام أنواع من التحوير، والتبديل، إعادة تنظيم العناصر واستخلاصها بأساليبه المختلفة لتحقيق قيم جمالية جديدة.

العوامل المؤثرة على تحقق القيم الجمالية للتطريز

تتأثر القيم الجمالية للتطريز بعدة عوامل منها:

١- تناسب التركيب النسجي مع الهدف من القطعة المطرزة، والخيوط المستخدمة من حيث النوع والسمك واللون، وكذلك أسلوب التطريز والغرز المنفذة: لا يمكن استخدام أقمشة الشيفون في عمل ميدعة المولود (البافتة، أو مريلة الطعام) (الصورة رقم ٧) طبقة واحدة بلون أسود، وتطريزها بالتطريز المفرغ أو الأجور، وذلك؛ لأن الشيفون يعتبر من الأقمشة الخفيفة جداً والشفافة فلن يحقق الأهداف الوظيفية الأساسية للميدعة مثل، حماية رقبة وصدر الطفل من البلل الناشئ من سيلان اللعاب، أو نتيجة الرضاعة، كذلك حماية ملابس الطفل من الاتساخ، كما أن اللون الأسود غير مناسب لميدعة المولود، فقد اتفق علماء النفس على أن أفضل الألوان للمولود هي الألوان الفاتحة، كذلك تجميلها بالتطريز المفرغ أو الأجور، وهو نوع من التطريز يتم عن طريق الإزالة لجزء من النسيج بالقص، أو التسيل سوف ينتج عنه وجود فتحات تسمح بوصول البلل لرقبة وصدر المولود.

الصورة رقم (٧). مبدعة المولود.

٢- تناسب الأدوات المستخدمة مع النسيج، والتصميم، وأسلوب التنفيذ: من الهام جداً وجود تناسب بين الإبرة والخيط المستخدمين في التطريز، فعندما نستخدم أسلوب التطريز بغرز السطح باستخدام الخيوط نختار إبرة تطريز عادية، بينما لا تصلح الإبرة العادية عند استخدام أسلوب التطريز بشرائط الحرير والساتان، حيث يلزم استخدام إبرة خاصة ذات عين بيضاوية وواسعة جداً، بحيث يمر خلالها الشريط المستخدم، وكذلك أسلوب الكنفاة والإيتامين يلزمه استخدام إبرة خاصة تعرف بإبرة الايتامين، وهي ذات سن غير حاد (الصورة رقم ٨).

٣- تناسب التصميم الزخرفي المستخدم ومفهومه وطرازه مع الهدف من القطعة المطرزة، والخيوط المستخدمة وألوانها، وكذلك أسلوب التطريز والغرز المنفذة، والخامات المستخدمة: ويتضح هذا بقوة إذا دققنا النظر في تطريز ملابس الأطفال، نجد أن التصاميم الزخرفية المطرز ومفهومها، وألوان الخامات المستخدمة بالتطريز كلها تناسب الطفولة، بل لا يمكن أن نستخدم تلك التصاميم الزخرفية والخامات والألوان نفسها في تطريز فستان زفاف (الصورة رقم ٩).

الصورة رقم (٨). نوع من إبر أسلوب التطريز بالشرائط.

الصورة رقم (٩). تصميم زخرفي لتطريز ملابس الأطفال.

٤- دقة التنفيذ للأسلوب المستخدم وغرزه المختلفة: يستخدم التطريز لتجميل القطع المختلفة، ويحتاج إلى بذل الكثير من الجهد والوقت، وكذلك الكثير من الموارد المادية لشراء الخامات والأدوات اللازمة (الصورة رقم ١٠)؛ لذلك لابد من دقة التنفيذ لكي نحصل على شكل نهائي للمنتج المطرز مُحقق لآمال المبدع المنفذ، ولرغبات المستهلك (الصورة رقم ١١).

الصورة رقم (١٠). التطريز من الفنون التي تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد. المصدر: (www.palestine-info.info).

الصورة رقم (١١). دقة التنفيذ تؤثر على الشكل النهائي للمنتج المطرز.

٥- اتزان وتناسق الشكل النهائي للمنتج: يجب على من يقوم بأعمال التطريز أن يكون لديه المقدرة على التصميم والرسم الذي يقوم بتنفيذه، كذلك حسن

اختيار وتنسيق الألوان المستخدمة بالتطريز، وبذلك يكون الإخراج ناجحاً ونابعاً عن فهم ودراية (الصورة رقم ١٢).

الصورة رقم (١٢). الوان وتناسق الشكل النهائي للمنتج.

كيف يمكن تحقيق القيم الجمالية للتطريز؟

يحتاج الرد على هذا التساؤل الكثير من البحث والدراسة، فتحقيق القيم الجمالية هو الهدف الأساسي لأي أسلوب زخرفي، ومن خلال البحث والدراسة بجانب الخبرة العملية خلال الأعوام السابقة في التطريز حاولت جاهدة الإجابة عن هذا التساؤل الذي كثيراً ما أجهدني وأرقني التفكير به، وخلال كل محاولة كنت أضع لبنة بجوار الأخرى؛ لبناء الإجابة، وأخيراً، أمكنني كشف الإجابة عن هذا التساؤل، حيث وجدت أنه لكي تتحقق القيم الجمالية للتطريز نحتاج للعديد من العوامل التي يمكن جمعها في مجموعتين رئيسيتين من الصعب الفصل بينهما عملياً، لكننا نظرياً يمكننا الفصل بينهما للتسهيل على القارئ، وهما المجموعة الخاصة بالجوانب المعرفية، والمهارية، والمجموعة الخاصة بالجوانب التقنية، والمادية.

المجموعة الخاصة بالجوانب المعرفية والمهارية

أولاً، الجانب المعرفي، ويتمثل في الجوانب المعرفية "Cognitive"، وهي حصيلة المعلومات والمعارف التي توجد لدى الفرد عن شيء معين "كالتطريز".

ثانياً، الجانب المهاري، ويتمثل في الجوانب المهارية "Skills"، وهي قدرة وكفاءة تُميز شخصاً عن غيره من الأفراد العاديين في نشاط من الأنشطة "كالتطريز"، وتُكتسب المهارة بالتعلم، والتدريب، والممارسة.

الجوانب المعرفية والمهارية مكملة بعضها بعضاً، فلا يمكن الفصل بين معرفتنا لغرزة ما وخطوات عملها، وبين طريقة تنفيذها المتقنة، والمهارة تتأثر بالتدريب، والموهبة، والخبرة.

المجموعة الخاصة بالجوانب التقنية والمادية

أولاً، الجانب التقني، ويتمثل الجوانب التقنية في كل عدة، أو أداة، أو آلة نستخدمها "Tools".

ثانياً، الجانب المادي، ويتمثل في الجوانب المادية كالمواد أو الخامات التي نستخدمها "Fabrics". والجوانب التقنية والمادية مكملة بعضها بعضاً، فلا يمكن الفصل بين الأدوات والخامات، فالمواد المستخدمة في العمل الفني ما هي إلا وسائل لإظهار المهارة.

ومن الملاحظ أن الجانب المادي والجانب الشكلي دائماً بينهما علاقة متبادلة، فالهيئة التي نتخيلها لابد أن تكون مناسبة للغرض، وشكل الشيء يوحي بالمواد المناسبة له.

المجموعتان السابقتان هما وحدة متكاملة للعمل الفني في التطريز، فلا يقوم تطريز بدون أدوات وخامات حتى مع توافر شق المعرفة والمهارة، ولا يمكن أن نحصل على تطريز بدون مهارة ومعرفة صحيحة بأسلوب العمل حتى لو توافرت الأدوات والخامات اللازمة، فكل شق منهما مكمل للشق الآخر ولا يتم بدونه، ولا يمكن تحقيق قيم جمالية بدونهما.